نظام التعليم المطور

للانتساب

الأخلاق الإسلامية وآداب المهنة

د. عبدالله نوري الدين شوي

إعداد

رزاز الاحمري

الاخلاق الاسلامية وآداب المهنه

المحاضرة التمهيدية

المقرر ذو شقين-:

١ اولهما في الاخلاق عامة

٢ وثانيهما في اخلاق المهنة خاصة

عناصر المحاضرة-:

مقدمة عامه عن أهمية مقرر الاخلاق وآداب المهنه.

أهداف المقرر

مفردات وخطته التدريسية.

مراجع المقرر ومصادرة.

مقدمة عامه عن اهمية مقرر الاخلاق وآداب المهنه.

أ -أهمية الأخلاق مقرراً دراسياً.

ب -أهمية المهنة وضرورتها في الحياة.

ت -أهمية الآداب ومدى اهتمام الاسلام بها.

اهداف المقرر:

نهدف من دراسة هذا المقرر تحقيق ما يلي-:

١. الوقوف على تعريف الاخلاق في اصطلاح العلماء وذكر أسسها وخصائصها في الاسلام.
٢. تحديد وسائل التربية الأخلاقية في الاسلام.
٣. الوقوف على اهمية المهنه وضرورتها في الحياة.
٤. معرفة اخلاق المهنه في الاسلام.
٥. الشعور بالمسؤولية الاخلاقية.

خطة تدريس المقرر:

سيتم توزيع المنهج على اربع عشرة محاضرة هي:

تعريف الخلق وطبيعته واقسامه ومكانته.

اسس الاخلاق في الاسلام

خصائص الاخلاق الاسلامية.

وسائل اكتساب الاخلاق.

المسئولية عن السلوك الاخلاقي.

نماذج من اخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

تعريف اخلاق المهنه والحاجة الى دراستها.

اخلاقيات العلم والتعلم.

اخلاقيات العمل التجاري والمهن الخدمية.

خلق الطهارة والاستقامه المهنية.

خلق التعاون المهني.

خلق الامانه المهنية.

خلق المحبة المهنية.

دراسة لنماذج لمواثيق بعض المهن المعاصرة.

مراجع المقرر ومصادرة:

الاخلاق الإسلامية واسسها للشيخ عبدالرحمن حبنكة من مطبوعات دار القلم بدمشق

المهنه واخلاقها للدكتور سعد الدين مسعد هلالي من مطبوعات جامعة الكويت لعام1427 هـ□□□□م

اخلاقيات المهنه في الحضارة الاسلامية للدكتور موفق سالم نوري من مطبوعات دار ابن كثير دمشق □□□□هـ□□□□م

التربية المهنية بين الفكر التربوي الاسلامي والفكر التربوي الحديث للدكتور خالد ابو شعيرة .من مطبوعات دار جرير في عمان الاردن□□□□□□□□هـ□□□□م.

مادة الاخلاق الاسلامية وآداب المهنه

المحاضرة الاولى

تعريف الخلق وطبيعته ومكانته في الاسلام

اولاً تعريف الخُلُق:

الخلق لغة -: بضم الخاء واللام الطبع والسجية أي ما جبل علية الإنسان من الطبع وجمعه أخلاق وهو – أي الخلق – يمثل صورة الإنسان الباطنة التي هي نفسه التي بين جنبيه وأوصافها ومعانيها المختصة بها كما ان الخلق يمثل صورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.

واصطلاحاً -: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير او شر من غير حاجة الى فكر وروية وبهذا المعنى ورد قول الله سبحانه في مدح نبيه صلى الله عليه وسلم)) وانك لعلى خلق عظيم ((وقد يطلق الخلق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجودة في هذا العالم على الوجه الأكمل وبهذا المعنى ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))

شرح التعريف وتوضحيه-:

اما التعريف الأخير فواضح لا لبس فيه إذا ان الصدق والسخاء والرحمة والعدل وحب الخير للناس كلها أخلاق حميدة وفضائل مسلمة يسعى عقلاء الناس للتحلي بها وتربية أبنائهم عليها.

واما التعريف الاول فهو الذي يكتنفه بعض الغموض ويحتاج الى توضيح فنقول :يقصد بـ(الحال) الهيئة والصفة للنفس الإنسانية.

*راسخة :(أي ثابته بعمق وهو مايعني ان الأفعال تتكرر من صاحبها على نسق واحد حتى تصبح عادة مستقرة لدية ومن ثم كان من ينفق المال مره او مرتين او ثلاث مرات على المحتاجين لا يوصف بخلق السخاء والجود بل لابد من تكرره منه بحيث يصبح عادة له.و(من غير حاجة الى فكر وروية) أي من غير تكلف او مجاهدة نفس بل سهوله ويسر وبطريقة تلقائية.

*يقول الغزالي رحمة الله الخلق و الخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهره ويراد بالخُلُق الصورة الباطنه.وذلك لان الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر . ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر وذلك عظم الله امره بإضافته إليه اذا قال تعالى (إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح إلى رب العالمين والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد.

ثانيا موضوع علم الأخلاق:

يبحث علم الأخلاق في الإحكام القيمية المتعلقة بالإعمال التي توصف بالخير او الشر او توصف بالحسن او القبح وهذا ما يميز الأخلاق عن الغرائز والدوافع لان الغرائز والدوافع هي الحاجات التي فطر الله الانسان عليها كحاجته للأكل والشرب والنكاح والنوم وهي أشياء لا تستوجب لصاحبها مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً فان مُدح الإنسان او ذُم على شي من ذلك كالمقصود ليس نفس الفعل وإنما طريقة صاحبة في تلبية تلك الحاجة او إشباع تلك الرغبة فمن يأكل لا يمدح ولا يذم على فعله ذلك وانما يمدح ان اكل مما يليه وبهدوء ومضغ الطعام جيداً وبدأ بسم الله وانتهى بحمد الله فهذا يحمد على فعله هذا ,بخلاف من أكل بشراهة وادخل اللقمة على اللقمة وجالت يده في القصعة فانه يذم على فعله ذالك.

ثالثاً أقسام الخلق:

يمكن تقسيم الخلق الى قسمين ثانين باعتبارين مختلفين:

اولهما باعتبار الفطرة والاكتساب وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق الى:

أ -اخلاق فطرية -:جبل الإنسان عليها أي هي هبه ومنحة من الله تعالى وليس للإنسان أي دور فيها اكتسابها مثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبدالقيس المنذر بن عائذ وكان وافد عبدالقيس وقائدهم ورئيسهم – وعبدالقيس قبيلة – (ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة) فقال : أشيء جبلت عليه ام شي حدث لي؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام (بل شيء جبلت عليه .(فقال الحمد لله الذي جبلني على ما يحبة الله ورسوله قال النووي الحلم هو العقل .والاناءة هي التثبت وترك العجلة وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له ما جاء في حديث الوفد انهم لما وصلوا المدينة بادروا الى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام الاشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس احسن ثيابه ثم اقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقربة النبي صلى الله عليه وسلم واجلسة الى جانبه.

ب -اخلاق مكتسبة : يسعى الانسان الى في تحصيلها بالتدريب والممارسة العلمية ومن خلال مجاهدته لنفسة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح (العلم بالتعلم والحلم بالتحلم)

ثانيهما باعتبار القبول وعدمة شرعاً :وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق الى:

خلق حسن : وهو الأدب والفضيلة وتنتج عنه اقوال وافعال جميلة عقلا وشرعا.

خلق سيئ :وهو سوء الأدب والرذيلة وتنتج عنه اقوال وافعال قبيحة عقلا وشرعا

ولقد جاءت دعوته صلى الله عليه وسلم الى فضائل الأخلاق فقد اسامة بن شريك قال (كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير مايتكلم منا متكلم اذا جاءه أناس فقالوا من احب عباد الله تعالي قال) : أحسنهم خلقا) وحسن الخلق من اكثر الوسائل وافضلها ايصالا للمرء للفوز بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والظفر بقربه يوم القيامة حيث يقول (ان احبكم مالي واقربكم مني مجلساً يوم القيامة احسنكم اخلاقاً

رابعاً مكانه الأخلاق في الإسلام

يقسم كثير من الباحثين المعاصرين ماجاء به الإسلام من تشريعات واحكام الى شعب اربعه هي : عقائد وعبادات ومعاملات واخلاق . وربما قسمها بعضهم الى ثلاث شعب فدمجوا بين العبادات والمعاملات فقالوا عقيدة وشريعه واخلاق .وهذا التقسيم انما يصح بالنظر الى الجهة الغالبة في تلك القضايا والمسائل التي تناولتها نصوص الشرع والا فعند التأمل وانعام النظر نجد ان هذه الشعب الثلاث او الاربع لاتنفك عن بعضها وانها متداخله متعاضدة كالبنيان يشد بعضها بعضاً فالأخلاق التي يرد ذكرها في اخر الشعب لاتنفك عن العقيدة والعبادات والمعلامات وهي نفس درجاتها ومستوياتها من الأهمية والطلب بل انها تمثل جوهر رسالة الاسلام ولب شريعتها بكل ما تحملة كلمة الاخلاق من عمق وشمول .

وبيان ذلك من وجوه-:

حث الإسلام على الفضائل وحذر من الرذائل في نصوص لا تحصى من القرآن والسنة ووصل فيها الى اعلى درجات الالزام ورتب عليها أعظم مراتب الجزاء ثواباً وعقاباً في الدنيا و الاخره .فالصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة والكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وامرأة دخلت النار في هره حبستها ولاهي أطعمتها ولاهي دعتها تأكل من خشاش الأرض وبغي دخلت الجنة في كلب سقته . والمرء يبلغ بحسن خلقة درجة الصائم لا يفطر والقائم لا يفتر...

*بلغ من عناية الإسلام بالأخلاق ان الله سبحانه وتعالى حين اثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم اختصار الثناء عليه من جهه أخلاقة ليعملنا انه لا ابلغ ولا ارفع من هذه الصفة فقال تعال (:وانك لعلى خلق عظيم).

*جعل الرسول صلى الله عله وسلم الغاية والهدف من رسالته اتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الأنبياء والمرسلين فقال فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه (انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق.)

*في باب العقائد نجد ان الإسلام يضفي على التوحيد صيغة خلقية فيعتبره من بابّ العدّل وهو فضيلة خلقية كما يتعبر الشرك من بابّ الظلم وهو رذيلة خلقية .فيقول سبحانه) ان الشرك لظلم عظيم (ذاك لانه وضع للعبادة في غير موضعها وتوجه بها الى من لايستحقها بل اعتبر القرآن الكريم الكفر بكل انواعه ظلما فقال الله تعالى) والكافرون هم الظالمون .(والعبادات الاسلامية ذات اهداف اخلاقية جلية منصوص عليها في كتاب الله:

١. فالصلاة وهي العبادة الاهم في حياة المسلم لها وظيفه سامية في تكوين الوازع الديني وتربية الضمير الديني على الابتعاد عن الرذائل فقال تعالى) واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وهي كذلك تعين المسلم على مواجهة متاعب الحياة قال تعالى) : يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة.(

٢. والزكاةوهي العبادة التي تلي الصلاة في الأهمية وسيلة لتطهير وتزكية النفس.وهما من الاهمية بمكان في عالم الاخلاق قال تعالى) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها(

٣. والصيام إنما يقصد به تدريب النفس على الكف عن شهواتها وإدخال صاحبها في سلك المتقين وهي جماع الاخلاق الاسلامية قال تعالى ((يأيها الذي امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون))

٤. والحج تدريب المسلم على التطهر والتجرد والترفع عن زخارف الحياة وضبط الجوارح قال تعالى)الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج(

٥. وفي مجال المال والاقتصاد كان للاخلاق حضورها سواء في ميدان الانتاج ام التداول ام التوزيع ام الاستهلاك

٦. ففي مجال الإنتاج يجب ان تكون السلعه المنتجة نافعة مفيدة واما ما كان ضاراً بالناس او مؤذياً لهم فلا يجوز إنتاجه مهما كان سيجلب لصاحبة من إرباح مادية قال تعالى) يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما .(

٧. وفي مجال التبادل يحرم الاسلام الاحتكار والغش وكتمان العيب وانفاق السلعة بالحلف الكاذب واستغلال حاجة الآخرين او استغلال بساطتهم او طيشهم لخداعهم ففي الحديث الصحيح) لا يحتكر الا خاطئ (أي آثم وفيه ايضاً) : من غشنا فليس منا (وفيه) الحلف الكاذب منفقة للسلعه ممحقة للبركة . (والتملك لايجوز للمسلم ان يمتلك ثروة من طريق الخبيث ولاحل له ان يأخذ ماليس له بحق ولا بالعدوان ولا بالحيلة كما لايحل للمسلم بطريق خبيث لايحل له تنمية ملكة بطريق خبيث كذلك .لهذا حرم الله الربا والميسر واكل أموال الناس بالباطل والظلم بكل صورة والضرر والضرار بكل الوانه.

٨. وفي مجال التوزيع امر بالعدل بين الأولاد في العطية من الوالدين كما وضع نظاماً دقيقا في توزيع الميراث والصدقات المفروضة والغنائم والفيء والخراج والجزية وعطايا بيت المال فقال صلى الله عليه وسلم) اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم(

٩. وفي مجال الاستهلاك والإنفاق أمر الإسلام بالاعتدال والتوسط والابتعاد عن الترف والتبذير والإسراف والتقتير قال تعالى) : ولا تجعل يدك مغلوله إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا (وقال ايضاً) وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لأحب المسرفين . (ومن هذا الباب تحريمه لاستعمال اواني الذهب والفضة مطلقاً وكذلك تحريمة لبس الذهب والحرير للرجال.

١٠. وفي مجال السياسة ربط الاسلام السياسة بالأخلاق فرفض كل الأساليب القذرة للوصول الى الغايات مهما كانت تلك الغايات نبيلة ورفض مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وجعله سياسته مبنية على الصدق والرحمة والعدل والانصاف والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعقوبات وفرض احرتام الاتفاقات والوفاء بالعهود قال تعالى) واما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء (وقال جل شأنه)× وبعهد الله اوفوا (وقال ايضا) ولايجر منكم شنأن قوم على ان لاتعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى.(

١١. وفي مجال الحرب لم تنفصل سياسة الاسلام عن الأخلاق بل بقيت كما في السلم مبنية على العدل والرحمة والصدق والوفاء قال تعالى) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين (وقال جل في علاه) ولا يجرمنكم شنأن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعانوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب (وجعل الغاية من الحرب إعلاء كلمة الله والانتصار للحق والخير قال تعالى) الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان (وقال جل جلاله) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين , (وفي السنة النوبية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصى اصحابة اذا توجهوا للقتال بقوله " اغزوا بسم الله وفي سبيل

الله وقاتلوا من كفر بالله واغزوا ولاتغلوا ولا تغدروا ولاتمثلوا , ولاتقتلوا وليداً (وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم الا يقتلوا شيخاً ولاصبيا ولا امرأة والا يقطعوا شجرا ولايهدموا بناء(

- وهكذا فما من مجال من مجالات الحياة يعيشها المسلم بمعزل عن القيم الأخلاقية والضوابط السلوكية وماهذا الذي ذكرناه الا غيض من فيض والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الثانية

أسس الأخلاق في الإسلام

يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على ثلاثة أسس هي الأساس الإعتقادي ، والأساس الواقعي والعلمي ، ومراعاة الطبيعة الإنسانية .

أولاً الأساس الإعتقادي

يتمثل الأساس الإعتقادي للأخلاق الإسلامية في ثلاثة أركان هي :

١. الركن الأول الإيمان بوجود الله تعالى الذي خلق الكون وخلق الإنسان وخلق الموت والحياة وهو بكل شيء من الماضي والحاضر والمستقبل عليم ، حتى إنه ليعلم ما يدور في خلجات الأنفس من خير أو شر كما قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب إليه من حبل الوريد)

٢. الركن الثاني إن الله عز وجل منذ أن خلق الإنسان فوق هذه الأرض عرّفه بنفسه ، وعرّفه بطريق الخير والشر ، وطريق الحق والباطل ، من خلال رسالات أوحى بها إلى من اختارهم من أنبيائه ورسله . قال تعالى (ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدين.) وقال سبحانه وتعالى(ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها.) ثم إن الله سبحانه وتعالى قد خلق في الإنسان قدرة لإدراك تلك الحقائق ، ونصب دلائل على جميع ذلك في هذة الطبيعة يدركها من تأمل فيها وبحث عنها في ثنايا هذا الكون قال تعالى (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.) وبناءً على ذلك كلفهم الله تعالى بإتباع الحق والخير ، واجتناب الشر والباطل ، كما بين واجباتهم تجاه خالقهم ، وتجاه المخلوقات الأخرى ، وبين لهم المحرمات التي يجب عليهم اجتنابها .

٣. الركن الثالث هو وجود الحياة بعد الموت ، وهذه الحياة إما نعيم وإما جحيم ، فالأولى يكافأ بها من اتبع الحق ، وفعل الخير ، واجتنب الشر وما حرّمه الله عليه ، والثانية يُجازي بها من اتبع الباطل وارتكب ما حرم الله .وهذه وتلك تكون بعد حساب دقيق يقوم به الخالق يوم القيامة كما قال سبحانه إنا نحن نُحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء في إمام مبين.) وقال جل جلاله (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

٤. إذن فهذه الحياة ميدان عمل واختبار للإنسان لمن يريد الخير ولمن يريد الشر ، قال تعالى :(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً . (والحياة الأخرى للحساب والجزاء قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تُظلم نفسُ شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين.) وقال أيضاً (اليوم تُجزى كلُ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ، إن الله سريع الحساب)

وهذا الأساس بهذا المفهوم في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، وهذا السند الذي يُعتمد عليه في إقامة النظام الخُلقي ، وفي عملية الإلتزام به فبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها ، وتأثيرها الكبير في

الإنسان ، ولا يمكن تُطبق تطبيقاً عملياً ودقيقاً في السر والعلن ، إلا إذا أُتِخذ هذا الأساس في قلوب البشر مكاناً وآمنوا به إيماناً صادقاً . وليس هذا أساس للسلوك الخُلقي فحسب بل كذلك للحياة ، إذ لا معنى للحياة _ في الحقيقة _ دون وجود هذا الأساس ودون الاعتماد عليه .

● إن الذي يقرأ كتابات الوجوديين وأمثالهم من الملحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، يجد إنهم يعانون من قلل وحيرة واضطراب في أعماق قلوبهم ، ثم يسعون إلى تعميمه على البشر كلهم بدعوى إنه من مستلزمات الوجود الإنساني ، وإن طبيعة الحياة تقتضيه .

وهو إدعاءٌ باطلٌ ، بدليل أن غيرهم ممن ليس على شاكلتهم لا يعاني من تلك الظاهرة ، ولعله ناتجٌ من عدم الإيمان لديهم ، فمن انعدام الإيمان لديهم عانى من الفراغ في هذا الجانب ، فأحس بالقلق والاضطراب ، وهو ما يدفعهم إما إلى الانتحار والتخلص من الحياة بطريق مباشر ، أو الوقوع في شرك المخدرات أو المسكرات ليقتل نفسه بطريق غير مباشر ، والأمر الذي يؤكد صحة هذا التفسير هو أن هؤلاء الناس لا يعانون فقراً أو حرماناً أو مرضاً ، بل هم أغنياء أصحاء ، وإنما يعانون من فقدان الطُمأنينة التي تجلبها العقيدة الصحيحة والإيمان القويم .

● إن اعتماد الأخلاق على أساس من العقيدة يُضفي عليها طابعاً مميزاً من القداسة ، وتدفع بالإنسان إلى فعل الخير والابتعاد عن الشر ، وتجعله صاحب ضمير حي ، وقد اعترف بهذا الدكتور إليكسس كاريل حيث قال " : الفكرة المجردة لا تصبح عاملاً فعّالاً إلا إذا تضمنت عنصراً دينياً ، وهذا هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد تستحيل معه المقارنة ، ولذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر مُنزلة من الذات الإلهية . "

ثانياً الأساس الواقعي والعلمي

● إذا كان الإسلام قد دعا إلى المثالية والسمو الروحي ، وذم الذين أخلدوا إلى الأرض وشهواتها ، فإن دعوته إلى المثالية كانت واقعية وكانت وسطاً بين نظرتين متطرفتين -:

أولهما : _ دعوات روحية تدعو_ الإنسان إلى محاربة الطبيعة ، وعدم الاستسلام لها مهما جابهته ضغوطات الحياة ومهما كانت شدتها ، وذلك لأن سعادة الإنسان وسموه الروحي وخلاصه من الآم الحياة _ في نظرهم _ إنما تتم بمحاربة الطبيعة والتسامي على واقعها .

ثانيهما :_دعوات للطبيعيين الذين أخلدوا إلى الأرض ، وقدموا الطاعة لدعواتها ومتطلباتها ، لأن الحياة معها _ في نظرهم _ هي الحياة السليمة التي تصل بالإنسان إلى السعادة .

فجاء موقف الإسلام نحو الطبيعة واقعياً وسطاً معتدلاً بين هاتين النظرتين وقد تجلى ذلك في

١. دعوته إلى الاستعلاء على الطبيعة وعدم الاستسلام لها ، وذلك بدعوته إلى الإنسان أن يكون سيداً على الطبيعة ، فيُسخر مواردها في عمران الأرض وعمران البلاد ، كما قال تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمرك م فيها) وأن يكون كذلك سيداً على نفسه ، فيضبط رغباته وميوله ويوُجهها وفقاً للمثل العليا التي جاء بها الإسلام

٢. دعوته إلى التأقلم والانسجام مع الطبيعة ومع الواقع وعدم التصادم معها ، وذلك عن طريق اتخاذ قواعد للسلوك تنسجم تمام الانسجام مع القوانين الأساسية للحياة البشرية ،

وهي القوانين الثلاثة التالية -

- قانون المحافظة على الحياة
- وقانون تكاثر النوع الإنساني
- وقانون الارتقاء العقلي والروحي

وفي هذه القوانين يتجلى الأساس العلمي الذي أقام الإسلام نظامه الأخلاقي عليه .

- فيما يتعلق بالقانون الأول الذي هو المحافظة على الحياة فإن الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها سلوكاً أخلاقيا ، وكل سلوك يُضاد الحياة أو يعوقها بصورة من الصور يُعد سلوك غير أخلاقي . فمن هنا كان القتل حراما أخلاقياً وكذا تهديد الآخرين وإخافتهم ، والتحاسد والتباغض والتدابر وكان من الواجب إحترام الناس والمحافظة على أرواحهم وأعراضهم ودمائهم ، والسعي لنعفهم .

- وفيما يتعلق بالقانون الثاني الذي هو تكاثر النوع فإن الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يُؤدي إلى إبقاء النوع وتحسينه سلوكاً أخلاقياً راقياً ، فشرع الزواج وحث عليه ، ونهى عن التبتل أو الرهبانية ، كما في حديث انس أبن مالك رضي الله عنه ، قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُوها ، فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أُصلي الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فقال (أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني. ، .

كما حث على حُسن اختيار الزوجة ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (تخيروا لنطفكم،وانكحوا الأكفاء ، وانكحوا إليه)

وحث الآباء على تزويج بناتهم من أُناس صالحين ، فقال صلى الله عليه وسلم (إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه فانكحوه ، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد)

ثم إن الإسلام حرم كل سلوك من شأنه أن يعوق استمرار التناسل ، لأنه يُعد منعاً لاستمرار النوع ، ومن ثمّ فقد حرم الإسلام الخِصاء ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال" كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء ، فقلنا يا رسول الله ، ألّا نستخصي ؟ فنهانا عن ذلك - فالإسلام يعُد الخروج على القوانين الطبيعية والأخلاقية تعدياً وخروجاً عن جادة الحياة المستقيمة .

- وفيما يتعلق بالقانون الثالث الذي هو الإرتقاء العقلي والروحي : فإن الإسلام اعتبر كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى السعادة والإقبال على الحياة بمحبة وإنشراح وينمي العقل ويحافظ عليه سلوكاً أخلاقياً راقياً ، وكل سلوك يُضاد ذلك كأن يجعل الإنسان يعيش في عزلة من الناس متشائماً قلِقاً ، أو

يضر بعقله ويجعله مريضاً أو متخلفاً مستسلماً للجهل والخرافات سلوكاً غير أخلاقي ومن ثّم وجدناه يحث على العلم وصلة الرحم ومحبة الآخرين والرحمة بهم ، والرضا بقضاء الله وقدره ، كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه) أو قوله صلى الله عليه وسلم (عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له.) أو في تحريمه للانتحار ، أو تعاطي المسكرات أو المخدرات ، أو ما من شأنه يضر بصحة الإنسان البدنية أو بعقله فقال تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمُهما أكبر من نفعهما) وقوله سبحانه وتعالى(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يُوقع بينكم

العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون.) ومثلها في النصوص كثير جداُ .

ثالثاً مراعاة الطبيعة الإنسانية

- وهذا الأساس مهم في الدراسات الأخلاقية ، وذلك لوجود ارتباط وثيق بين السلوك وطبيعة الإنسان ، ولتوقف نجاح النظام الأخلاقي على مدى انسجامه مع واقع هذة الطبيعة
- فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روح وجسد ، وعقل وقلب ومشاعر وعواطف ، وأن هناك صراع بين طبيعة الإنسان وتكوينه المادي الذي يميل إلى الأرض والتراب الذي خُلق منه ، فيستجيب للأهواء والشهوات وينساق لها ، وروحه العلوية التي هي من نفح الإله ، وتدعو إلى السُمو والُرقِي والمثالية
- والمطلوب هو التنسيق بين هاتين الطبيعيتين في الإنسان ، وتوجيهه إلى السلوك الذي يليق به بصفته أشرف مخلوق على وجه الأرض ، وصاحب رسالة خُلِق من أجلها في هذه الدنيا والمرجع في هذا التنسيق هو الله رب العالمين تبارك وتعالى.

المحاضرة الثالثة

الانبثاق عن عقيدة الإسلام

أي أنها مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً بحيث يستحيل الفصل بينهما وما أكثر النصوص التي تربط بين الإيمان وحسن الخُلُق حتى إنها لتجعل الإيمان هو نفسه حسن الخُلُق كيف لا ؛ وحسن الخلق يقتضي شُكر المنْعِم (الإله) والاعتراف بفضله والثناء عليه والوقوف عند حدوده بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وأي عقوق أعظم من أن يتمرد الإنسان على خالقه ومولاه ويتنكر لجميله ويخالف أمره ونهيه كما هو الشأن في الكفار والمنافقين .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى "حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حُسْن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق قال الله تعالى [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ .] {المؤمنون- } وقال تعالى [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا .] {الفرقان } من أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة، وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال صلى الله عليه وسلم ..

(من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ) وقال (لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وقال (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً).

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى "الإيمان قوة عاصمة عن الدنايا دافعة إلى المكرمات ومن ثمَّ فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم وما أكثر ما يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا ثم يذكر بعدُ ما يُكلفهم به مثل قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] {التوبة } [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] {الأحزاب } وقد وضح

صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتماً وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه بحسب تفاقم الشر أو تفاهته فالرجل الصفيق الوجه المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد يقول رسول الإسلام في وصف حاله "الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر .

- والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء يحكم الدين عليه حكما قاسياً فيقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ والله لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يا رَسُولَ اللَّهِ قال الذي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه) وتجد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو ومجانبة الثرثرة والهذر يقول (وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ) وهكذا يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها معتمداً على صدق الإيمان وكماله .
- إذاً فالدين هو منبت الأخلاق وهو مصدر الرقابة عليها وهو المقوِّم لها إذا انحرفت وهما متلازمان لإقامة كل مدنية فاضلة خيرة في مصلحة الإنسان

الشمول

حيث تشمل جميع المجالات فهناك خلق مع الله ومع رسله عليهم السلام قال تعالى [إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] {النور} وقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] {الحجرات} وهناك خلق مع المسلمين يقول صلى الله عليه وسلم (المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه) وخلق مع غير المسلم قال تعالى [لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] {الممتحنة}

وقال صلى الله عليه وسلم (من آذى ذمياً فقد آذاني) وهناك خلق الكبير والصغير (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا) وخلق مع الحاكم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ {النساء} ومع الوالدين والأبناء والبنات والزوج والقرابة ومع الضيف والمعلم والصديق ومع البهائم والجماد .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى "قد تكون لكل دين شعائر خاصة به تعتبر سمات مميزة له ولا شك أن في الإسلام طاعات معينة ألزم بها أتباعه وتعتبر فيما بينهم أموراً مقررة لا صلة لغيرهم بها غير أن التعاليم الخُلُقية ليست من هذا القبيل؛ فالمسلم مكلف أن يلقى أهل الأرض قاطبة بفضائل لا ترقى إليها شبهة فالصدق واجب على المسلم مع المسلم وغيره والسماحة والوفاء والمروءة والتعاون والمكرم الخ.

وقد أمر القرآن الكريم ألا نتورط مع اليهود أو النصارى في مجادلات تهيج الخصومات ولا تجدي الأديان شيئاً قال الله تعالى [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] {العنكبوت} واستغرب من أتباع موسى وعيسى أن يشتبكوا مع المسلمين في منازعات من هذا النوع الحاد:[قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ] {البقرة} وحدث أن يهودياً كان له دَيْنٌ على النبي فجاء يتقاضاه قائلاً إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطل فرأى عمر بن الخطاب أن يُؤدب هذا المتطاول على مقام الرسول وهَمَّ بسيفه يبغي قتله لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أسكت

عمر قائلاً (أنا وهو أولى منك بغير هذا تأمره بحُسن التقاضي وتأمرني بحُسن الأداء) وقد أمر الإسلام بالعدل ولو مع فاجر أو كافر قال عليه الصلاة والسلام "دعوة المظلوم مُستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه). وبهذه النصوص مَنع الإسلام أبناءه أن يقترفوا أية إساءة نحو مخالفيهم في الدين ومن آيات حسن الخلق مع أهل الأديان الأخرى ما ورد عن ابن عمر أنه ذبحت له شاة في أهله فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)

أما من الناحية العامة فقد قرر الإسلام أن بقاء الأمم وازدهار حضارتها واستدامة منعتها إنما يُكفل لها إذا ضمنت حياة الأخلاق فيها فإذا سقطت الخلق سقطت الدولة معه

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويؤكد هذه الحقيقة حديث الرسول لقومه وعشيرته فقد رشحتهم مكانتهم في جزيرة العرب لسيادتها وتولي مقاليد الحكم بها ولكن النبي أفهمهم ألا دوام لملكهم إلا بالخُلُق وحده فعن أنس بن مالك قال "كنا في بيت فيه نفر من المهاجرين والأنصار فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل كل رجل يوسع رجاء أن يجلس إلى جنبه ثم قام إلى الباب فأخذ بعضادتيه

فقال (الأُمَرَاءُ من قُرَيْشٍ ثَلاَثاً ما فَعَلُوا ثَلاَثاً ما حَكَمُوا فَعَدَلُوا وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا وَعَاهَدُوا فَوَفَوْا فَمَنْ لم يَفْعَلْ ذلك منهم فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) هذا الحديث حاسم في أنه لا مكانة لأمة ولا لدولة ولا لأسرة إلا بمقدار ما تمثل في العالم من صفات عالية وما تحقق من أهداف كريمة فلو أن حكماً حمل طابع الإسلام والقرآن ثم نظر الناس إليه فوجدوه لا يعدل في قضية ولا يرحم في حاجة ولا يوفي في معاهدة فهو باسم الإسلام والقرآن قد انسلخ عن مقوماته الفاضلة وأصبح أهلاً لأن يلعن في فجاج الأرض وآفاق السماء ومن أقوال

الإمام ابن تيمية "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت"مسلمة إن الخلق في منابع الإسلام الأولى من كتاب وسنة هو الدين كله وهو الدنيا كلها فإن نقصت أمة حظاً من رفعة في صلتها بالله أو في مكانتها بين الناس فبقدر نقصان فضائلها وانهزام خلقها .

الثبات

- ويقصد بالثبات أن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار مرتبطة بنظام الشريعة العامة، وهي أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيماً فاضلة ثابتة

- إن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعا للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى [تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] {البقرة:[illegible]} .

- وأما السبب الذي يجعل أخلاق الإسلام ثابتة فهو

- ارتباطها بالفطرة البشرية التي تتصف بالثبات ويرثها الأحفاد عن الآباء والأجداد (كل مولود يولد على الفطرة) فالخلق فطرة.

- وكونها نابعة عن الدين، وإذا كان الدين يصلح لجميع الناس، ويهدف إلى الخير المطلق، لأنه من الله سبحانه وتعالى، وقد راعى فيه الخير العام قال تعالى [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ] {الملك:[illegible]} فكذلك الأخلاق الإسلامية.

- ويترتب على خاصية الثبات هذه أن الأخلاق مختلفة عن التقاليد ؛ لأن التقاليد تتغير بين الفينة والأخرى بتغير مبررات وجودها، وليس كذلك الأخلاق، لأنها تقوم على أسس ثابتة كالحق والعدل والخير

- كما أن الثبات في الأخلاق من شأنه أن يبعث الطمأنينة في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع بخلاف من ينظر إلى الأخلاق على أنها تتطور وتتبدل بتبدل الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فإن من شأنها أن تجعل الإنسان يعيش من غير قيم عليا وفي اضطراب وقلق.

الجمع بين الواقعية والمثالية

فأما كونها واقعية فتعني أنها عملية وقابلة للتطبيق ولا يستعصي على أحد من الناس تطبيقها وتجسيدها في حياته ولكنها في ذات الوقت مثالية أيضاً بمعنى أن من الناس من تتوق نفسه إلى معالي الأمور و لا يرضى لنفسه بأن يكون كسائر الناس ولا يشبع ذلك نهمه ورغبته في التسامي بخلقه ورغبته في التحلي بالفضائل ولكن ليس كل الناس يطيق ذلك فجاء الإسلام وراعى بتشريعه استعدادات هذا وذاك ولم يحمل الناس على ما لا يطيقون وما يمكن أن تمله نفوسهم وتتقاصر عنه فشرع العدل وذلك بأن يصل كل ذي حق إلى حقه ولكن دعاه في الوقت ذاته إلى الإحسان وهي مرتبة أعلى من العدل فيها التضحية والصفح والتجاوز فقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] {المائدة:} وقال أيضاً:[وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] {الشورى:} [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ]{النحل:} .

وهذا يختلف عن الدعوات المثالية التي نادى بها بعض الفلاسفة من أمثال أفلاطون في كتابه الجمهورية الفاضلة وكذلك النصارى في الوصايا التي نسبوها إلى نبي الله عيسى عليه السلام وهي مستعصية على التطبيق ولا تستقيم معها حياة الإنسان وسرعان ما يملها وتسأم نفسه من فعله لما فيها من تكلف شديد قال عليه الصلاة والسلام (عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا) وفي معناه قوله تعالى [فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ] {التغابن:} .

الوسطية

- وتعني كون الأخلاق الإسلامية وسطاً بين طرفين متضادين وهذه الوسطية والاعتدال جلية في جوانب الدين الإسلامي كله؛ ففي نظرته إلى تكوين الإنسان كان وسطاً بين
- غلاة المثاليين الذين يعتبرون الإنسان روحاً علوية محبوسةً في الجسد ويجب عليه أن يتحرر منه.
- غلاة الواقعيين الذين يعتبرون الإنسان جسداً فقط ويتنكرون للروح ومتطلباته
- فجاء الإسلام وقرر أن الإنسان مخلوق مركب من عقل وشهوة وفيه استعداد للتقوى والفجور وقد بين الله له طريق الخير وطريق الشر بوساطة أنبيائه ورسله ثم ترك له حرية فقال تعالى {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
  - ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}( ) سورة الشمس

- وفي نظرة الإسلام إلى الحياة كان وسطاً بين طرفين متقابلين هما:
- من يرى أن الحياة هي هذه الدنيا التي نعيشها فقط.
- وأولئك الذين يتنكرون لهذه الحياة الدنيوية ومتعها ويرون أن السعي يجب أن يكون للآخرة فقط

فجاء الإسلام ليقرر الانسجام والتوافق بين الحياتين وأن الدنيا مزرعة للآخرة ويجب للإنسان أن يعمل لها ويسعى في عمارتها لأنها تمثل جزءاً من المهمة التي خلق الله عز وجل البشر من أجلها قال تعالى {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } (هود) سورة هود أي طلب منكم عمارتها وقال أيضاً {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (الأعراف) سورة الأعراف.

- وفي دعوته إلى التحلي بالفضائل الخلقية كان وسطاً لا يقبل الزيادة ولا النقصان فعلى سبيل المثال لا الحصر حث على:
- الحكمة واعتبرها فضيلة قال تعالى [يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا] {البقرة} ولكنها تأتي بين رذيلتين هما الخِبُّ والبَلَه والخب إفراطٌ وزيادة من جهة الاتصاف بالمكر والحيلة وسوء الظن والبله تفريط ونقصان عن الاعتدال وسذاجة وسفه
- والسخاء واعتبره خلقاً كريماً لكنه بين أنه يأتي بين رذيلتين هما الإسراف والتقتير قال تعالى [وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا] {الإسراء} وقال [وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا] {الفرقان} .
- والشجاعة وهي وسطٌ بين رذيلتي التهور والجبن فالتهور زيادة عن الاعتدال، ويقدم بها الإنسان على الأمور المحظورة، التي يجب في العقل الإحجام عنها قال تعالى [وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ] {البقرة} والجبن نقصان عن الاعتدال قال تعالى في وصف المنافقين [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] {التوبة}
- والعفة وهي وسط بين رذيلتي الشره والخمود فالشره هو إفراط الشهوة إلى المبالغة في اللذات والخمود هو خمود الشهوة عن الانبعاث إلى ما يقتضي العقل نيله وتحصيله.
- والحياء وهو وسط بين رذيلتي الوقاحة وصفاقة الوجه من جهة والخور والمهانة من جهة أخرى.

- والتواضع وهو وسط بين رذيلتي الكبر والعلو من جهة والذلة والحقارة من جهة أخرى
- والعدل هو التوسط المحمود في كل شيء بأن يعطي كل ذي حق حقه من غير غبن وتغابن والغبن إفراط أي أن يأخذ ما ليس له، والتغابن تفريط أي أن يعطي في المعاملة ما ليس عليه حمد وأجر.

المحاضرة الرابعة

وسائل اكتساب الأخلاق

المقدمة :

ذكرنا فيما تقدم أن هناك أخلاقاً فطرية بمعنى أن بعض الناس تشمله العناية الإلهية فيولد سليم الفطرة كامل العقل حسن الخُلق عالِماً مؤدَّباً بغير معلِّمٍ أو مؤدِّبٍ كما هو الحال في الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام الذين اصطفاهم الله واختارهم ,وجعلهم بفضله قدوات صالحة تمثل قمة الكمال البشري وهناك من يمُنُّ الله عليه ببعض الصفات الخلقية الحميدة كما في حديث أشج عبد القيس حين أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة وحين سأله أهما من كسبه أم جبله الله عليهما؟ قال "بل الله جبلك عليهما .() فإذا ما استثنينا هذه الحالات فإن الصفات الخلقية الحميدة تحتاج إلى وسائل لاكتسابها والاتصاف بها ومن أهم هذه الوسائل التدريب العملي والرياضة النفسية:

- وذلك من خلال مجاهدة النفس وحملها على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب فمن أراد مثلاً أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه, ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً وكذا من أراد أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق التواضع وقد غلب عليه الكِبْر ,فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه.
- وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً فالسخي هو الذي يَسْتَلِّذ بذلَ المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة و المتواضع هو الذي يَسْتَلِّذ التواضع وفي هذا المعنى جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ويجب أن يكون هذا الاستلذاذ للطاعة واستكراه المعصية على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم أي الناس خير؟ قال (من طال عمره وحسن عمله) وهو ما كان يجعل الأنبياء والصالحين من العباد يكرهون الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ .
- فإذن يمكن اكتساب الأخلاق الجميلة بالرياضة بتكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً لتصير طبعاً انتهاءً وهذا من أثر العلاقة بين القلب والجوارح أي النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال؛ وهو أن من أراد أن يصير حاذقاً في الكتابة (خطاطاً) فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة

طويلة يحاكي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه ,فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك .

- وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحقيقة فقال (مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ،وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ .(أي أن من درب نفسه وحملها على ما يريد وجد الاستجابة له بإذن الله فالبداية من العبد ثم يأتيه التوفيق من الله تعالى فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء ,فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق ,والتغذية بالعلم.

- البيئة الصالحة والمجلس الصالح:

- وذلك بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخيرَ جميعاً قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) رواه البخاري ومسلم قال النووي "في الحديث تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة ."

- وقال الشيخ ناصر السعدي رحمه الله " :اشتمل هذا الحديث على الحث على اختيار الأصحاب الصالحين، والتحذير من ضدهم ومثل النبي صلى الله عليه وسلم بهذين المثالين، مبيناً أن الجليس الصالح جميع أحوالك معه وأنت في مغنم وخير، كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك إما بهبة، أو بعوض وأقل ذلك مدة جلوسك معه، وأنت قرير النفس برائحة المسك فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك فيحثك على طاعة الله وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ويبصرك بعيوب نفسك، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها بقوله وفعله وحاله فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها بعضاً إلى الخير، أو إلى ضده .

- وأما مصاحبة الأشرار فإنها بضد جميع ما ذكرنا، وهم مضرة من جميع الوجوه على من صَاحَبَهُمْ، وشر على من خالطهم .فكم هلك بسببهم أقوام وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن أن يوفقه لصحبة الأخيار ومن عقوبته لعبده أن يبتليه بصحبة الأشرار صحبة الأخيار توصل العبد إلى أعلى عليين، وصحبة الأشرار توصله إلى أسفل سافلين صحبة الأخيار توجب له العلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة وصحبة الأشرار تحرمه ذلك أجمع {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا , لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا)

•إن أقل ما تستفيده من الجليس الصالح وهي فائدة لا يستهان بها أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي، رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعاً عن الشر، وأن يحفظك في حضرتك ومغيبك، وأن تنفعك محبته ودعاؤه في حال حياتك وبعد مماتك، وأن يدافع عنك بسبب اتصاله بك، ومحبته لك وتلك أمور لا تباشر أنت مدافعتها، كما أنه قد يصلك بأشخاص وأعمال ينفعك اتصالك بهم وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى وحسب المرء أن يعتبر بقرينه، وأن يكون على دين خليله.

- وفي حديث آخر بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثر البيئة الفاسدة والبيئة الصالحة على المرء فقَالَ (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لا .فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ :مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ .وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَط فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَه. ُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ) قال النووي "قال العلماء في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ(

- القدوة الحسنة:

الإنسان بطبعه يميل إلى التقليد ,وهذا أمر واقعٌ مشاهد في دنيا الناس فإذا نظرت إلى كثير من الكافرين وجدت أن كفرهم كان تقليداً لآبائهم وكبرائهم [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ] {البقرة} وإذا كان هذا الأمر مشاهداً ومسلَّماً في حياة الناس إذاً فليتخذ الإنسان العاقل من أكمل الخَلْق إيماناً وأخلاقاً القدوة في حياته وهو رسول الله الذي ارتضاه الله لنا قدوة وأمرنا بالتأسي به فقال تعالى [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا] {الأحزاب} فهو خير قدوة يقتدي بها الأفراد ، وخصوصاً الطامحون لبلوغ الكمال الإنساني في السلوك ولئن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه فإن الله قد حفظ لنا سنته، وبقيت سيرته خالدة شاهدة على سمو روحه وكمال نفسه ورفعة أخلاقه ، فما على من أراد التأسي به إلا مطالعتها والعمل بما كان عليه صلى الله عليه وسلم.

•إن المسلم إذا أُبرزت أمامه القدوات الطيبة والنماذج الراقية فإنه يسارع إلى تقليدها والتأسي بها وإنه مطالب بالتأسي بالنماذج الطيبة المرضية عند الله تعالى، وقد وجدنا القرآن يقول للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن تحدث عن بعض الأنبياء والمرسلين [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ] {الأنعام}

•وهذه القدوة الصالحة لها تأثير عجيب في اكتساب الفضائل لأسباب متعددة منها:

•كون هذه القدوة محل تقدير وإعجاب كبير من الناس، مما يولد في الفرد المحروم من أسباب هذا المجد حوافز قوية تدفعه إلى تقليد هذه القدوة الصالحة ومحاكاتها في أخلاقها وسلوكها، مما يحولها مع الوقت إلى خلق مكتسب.

•وجود القدوات الصالحة والنماذج الحسنة يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل أمر ممكن فيدفع إلى محاولة التخلق بمثل أخلاقه.

•أن النفس البشرية تتأثر بالأمور العملية أكثر بكثير من تأثرها بالأمور النظرية ؛ولهذا وجدنا أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تشير على النبي أن يبدأ بحلق رأسه بعد صلح الحديبية في وقت امتنع فيه كثير من المسلمين عن الحلق فلما رأوا رسول الله حلق تسابقوا إلى الحلق تأسيا به صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا أيضا أثر عن بعض السلف قوله:إن فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل.

•إن من واجب المصلحين والدعاة المربين أن يبرزوا للناس وخصوصاً للشباب والنشء النماذج الصالحة أسلافنا من صحابة رسول الله وتابعيهم بإحسان فيبرزوا سير العلماء الربانيين والزهاد الأتقياء العابدين والقادة الأفذاذ الفاتحين والمربين الناجحين المؤثرين لتتحرك الهمم نحو التأسي بهم والسير على نهجهم .

- الضغط الاجتماعي :

ونعني بذلك المجتمع المسلم بما يشكله من رقابة على سلوك الأفواد وإلزامهم بفضائل الأخلاق.
وذلك أن الفرد يعيش مع الناس داخل هذا المجتمع يحتاجهم في شؤون حياته ولا يستغني عنهم ويحتاج منهم التقدير والاحترام فإذا ما أقدم على تصرف سيء فسيجد من يحاسبه على سلوكه ذلك وسيشعره بأنه أقدم على سلوك غير مقبول ومن ثم فإن عليه أن لا يعاوده ويوماً بعد يوم ومع هذه الرقابة من المجتمع والضغط الذي يشكله على سلوكه فإنه سيهجر هذا التصرف السيئ وسيبدله بتصرف آخر مقبولاً ويجلب له الرضا والاحترام والتقدير ممن حوله والفرق بين هذا وبين ما سبق من تأثير البيئة الصالحة هو أن البيئة هي تلك المجموعة من الناس الذين يعيش معهم بشكل مباشر كل يوم وبصورة مستمرة .
هنا فالضغط الاجتماعي يعني ما هو أعم إنه المجتمع بكل طبقاته وأطيافه وفئاته فهناك رقابة من المجتمع على وسائل الإعلام المختلفة من جرائد ومجلات وكتب وإذاعات وخطب ومقالات ومواعظ وحوارات فيقوم مستمعوه وقراؤه بمحاسبته على أقواله وتصرفاته المخالفة للفضائل الخلقية .
فالمسؤولية اجتماعية وفي بيان ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ثُمَّ قَالَ كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا) رواه أبو داود والبيهقي وغيرهما .
ويؤيد الحديث الآخر (مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَمِيعاً) رواه البخاري ومعنى (القَائِمِ فِي حُدُودِ اللهِ تَعَالَى) المنكر للوقوع فيها، والقائم في دفعِها وإزالتِها، وَالمُرادُ بالحُدُودِ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ ومعنى اسْتَهَمُوا :اقْتَرَعُوا

- سلطان الدولة :

ونعني بها السلطة الحاكمة بما تملكه من قوة ردع وأجهزة رقابة وفي بيان أثر هذه الرقابة من الدولة يقول الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) أي أن الله يدفع بالسلطان أناساً عن اقتراف المنكر وذلك خوفاً من عقوبته لأن القرآن الكريم لا يدفعهم ولا يؤثر فيهم فقلوبهم ميتة وإيمانهم ضعيف وعقولهم معطلة وما يردعهم هو خوف العقوبة فقط .

المحاضرة الخامسة

المسؤولية عن السلوك الأخلاقي

في هذا المبحث سنتعرض لمسائل ثلاثة مرتبطة يبعضها ارتباط العلة بالمعلول وهي على الترتيب الإلزام ثم المسؤولية ثم الجزاء .بمعنى أن الإلزام يكون أولاً ثم تتبعه المسؤولية ثم يتبعهما الجزاء أخيراً.

أولاً – الإلزام :

تعريفه :يمكن تعريف الإلزام في باب الأخلاق بأنه تكليفٌ بتشريع خُلُقي ().

أو بعبارة أوضح أمرٌ صادرٌ من الشرع للمكلفِ بامتثال خُلُقٍ محمودٍ أو اجتنابِ خُلُقٍ مذموم .

والمقصود بالمكلف هو الشخص البالغ العاقل.

مصادر الإلزام الخلقي :يذهب عامة المسلمين إلى أن مصدر الإلزام الخلقي – كغيره من الأحكام الشرعية إنما هو نصوص الشريعة من كتابٍ وسنةٍ قال تعالى [:رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ]{النساء} وقال أيضاً [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا]{الإسراء} فالآيتان تدلان بوضوح على أنه لا محاسبة ,ولا عقاب قبل إرسال الرسل وإقامة الحجة من الله تعالى على العباد .

وما اتباعنا للرسول صلى الله عليه وسلم إلا لامتثال أمره سبحانه حيث قال [:وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] [الحشر} وقال أيضاً [قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ] {آل عمران}.

وإذا كان مصدر الإلزام هو الشرع فإن هناك أموراً تعين على تحقيق الالتزام في حياة الناس وهي متفرعة عن الشرع ومنضبطة به وتتمثل في عوامل خارجية كالمجتمع والسلطة الحاكمة وعوامل داخلية كالإيمان والعقل والفطرة والضمير الخلقي.() وفيما يلي بيان موجز بكل واحدة منها:

الإيمان بالله :إن كثيراً من الممارسات الخلقية الحميدة لا تقوم إلا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر ,كما في مقابلة الإساءة بالإحسان والصبر على الظلم مع القدرة على الرد والإنفاق على الأيتام والمحتاجين من غير انتظار الجزاء منهم والتضحية بالمال مع شدة الحاجة إليه كما قال تعالى [وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً] {الإنسان} يقول ابن القيم رحمه الله

" الإيمان هو روح الأعمال وهو الباعث عليها والآمر بأحسنها والناهي عن أقبحها وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه وائتمار صاحبه وانتهاؤه"

العقل :وذلك أن الإنسان إذا رأى أن عاقبة فعله ستكون نافعة مفيدة أقدم عليه وإذا رأى أنها ستكون ضارة أو أليمة أحجم عنه قال تعالى مخبراً عن أهل النار [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ] {الملك} يقول ابن القيم رحمه الله أما العقل فقد وضع الله سبحانه في العقول والفطر استحسان الصدق والعدل والإحسان والبر والعفة والشجاعة ومكارم الأخلاق وأداء الأمانات وصلة الأرحام ونصيحة الخلق والوفاء بالعهد وحفظ الجوار ونصر المظلوم والإعانة على نوائب الحق وقرى الضيف وحمل الكل ونحو ذلك ووضع في العقول والفطر استقباح أضداد ذلك ونسبة هذا الاستحسان والاستقباح إلى العقول والفطر كنسبة استحسان شرب الماء البارد عند الظمأ وأكل الطعام اللذيذ النافع عند الجوع ولبس ما يدفئه عند البرد فكما لا يمكنه أن يدفع عن نفسه وطبعه استحسان ذلك ونفعه فكذلك لا يدفع عن نفسه وفطرته استحسان صفات الكمال ونفعها واستقباح أضدادها ومن قال إن ذلك لا يعلم بالعقل ولا بالفطرة وإنما عرف بمجرد السمع فقوله باطل."

الفطرة :فالإنسان بفطرته السليمة يهتدي إلى الأخلاق الحميدة ويرتاح لها قال تعالى [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ] {الرُّوم} ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه واقرؤوا إن شئتم { فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله} يقول ابن القيم "الله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة إحسانه ونعمه ... أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم وشبه ذلك بخروج البهيمة صحيحة سالمة حتى يجدعها صاحبها."

المجتمع :فقد أمر الله سبحانه جماعة المسلمين أن يراقبوا سلوك الأفراد داخل المجتمع وأن يأخذوا على يد الشارد منهم عن جادة الحق ويعاقبوا المنحرف قال تعالى [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ] {المائدة} وقال تعالى [الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ} [النور] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ,فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) فالأمة كلها مكلفة بأن

تراقب أفعال الناس وتصرفاتهم فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتأخذ على يد الظالم والعابث وإلا نال جميع أبنائها شؤم المعصية قال تعالى محذراً من ذلك [وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً] [الأنفال:].{

ولي الأمر (أو السلطان) :فإن من واجبه حمل الناس على الالتزام بحدود الشرع الحنيف ,والتحلي بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن السلوكيات المنحرفة والمحرمة فمهمته الرئيسة في حكمه هي "حراسة الدين وسياسة الدنيا وعليه أن يستعين في سبيل تحقيق ذلك بالأعوان الصالحين فإن في الناس من لا يردعه إلا الخوف من العقوبة

خصائص الإلزام الخُلُقي :يمتاز الإلزام الخلقي في الإسلام بجملة من الخصائص أهمها:

الإلزام بقدر الاستطاعة [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: } فلا تكليف إلا بقدر الطاقة والاستطاعة وهذا مبدأ يقتضيه العدل الإلهي كما يقتضيه الخلق القويم.

اليسر في التطبيق [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] {البقرة: } إذ لم يشرع لنا من التكاليف ما من شأنه أن يوقعنا في الحرج والمشقة.

مراعاة الأحوال الاستثنائية كما في إعفاء العجزة والضعفاء والمرضى عن الجهاد [لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ] {الفتح: } والرخصة للمكره على الكفر بالتلفظ بلسانه بما هو كفر مع بقاء قلبه مطمئناً بالإيمان [مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا] {النحل: }. {

ثانياً المسؤولية :تعريفها :هي "التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً .() أو هي "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام اللّه ()."

شروطها :تتمثل الشروط الضرورية لمسئولياتنا أمام اللّه ثم أمام أنفسنا فيما يلي:

*أن يكون أهلاً لتحمل المسؤولية (أي بالغاً عاقلاً) فلو كان مجنوناً أو صغيراً دون البلوغ لحديث (رفع القلم عن ثلاث عن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ.(

*أن يكون العمل نابعاً من إرادته وإلا فلو كان العمل لا إرادياً كما في الخطأ أو في حالة النائم ,أو كان صاحبه مكرهاً لم يتحمل مسؤولية تصرفه لحديث (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .(

النية إذ المسؤولية الحقيقية عند الله إنما هي على النية والقصد دون ظاهر السلوك أي أن تتجه النية من الشخص إلى العمل وأن يعمل حقيقة وهذا هو المطلوب من الإنسان وبه ينتهي مجال الفعل الأخلاقي، وأما النتائج والمعطيات فلسنا مسؤولين عنها بل أمرها بيد اللّه تعالى.يقول النبي صلى الله عليه وسلم في بيان هذه الحقيقة (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ويؤكد قول الله تعالى [:لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ] {البقرة} هذه الحقيقة وعليه فإن الإنسان غير مسؤول عن أعماله اللاإرادية لأنه لا مسؤولية من غير إرادة، كما أنه غير مسؤول عن فعله الذي وقع خطأ منه لعدم توافر نية الشر لديه وفي بيان ذلك يقول الله تعالى} :وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ.{

العلم بالعمل وبما يؤدي إليه من خير أو شر أو إمكانية العلم حتى وإن قصر ولم يتعلم قال تعالى [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا] {الإسراء} و لا يعني هذا عدم مؤاخذة الإنسان بما يجهل بل المقصود أنه لا يؤاخذ حتى تقوم عليه الحجة فإذا أمكنه التعلم ثم قصر ولم يتعلم فإنه لا يُعذر بجهله.

كون العمل مستطاع الفعل والترك [لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] {البقرة}.{

خصائص المسؤولية :تتسم المسؤولية في الإسلام بأنها ذات طابع شخصي، بمعنى أن الإنسان مسؤول عن تصرفاته فقط ,دون غيره وهناك آيات كثيرة من كتاب الله تؤكد هذه الحقيقة منها {مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى} ومنها {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى} وعلى تصرفاته من الأقوال والأفعال يأتي الثواب والعقاب .

إلا أن هذه المسئولية الفردية لا تمنع الفرد أن يكون مسؤولاً عن انحراف مسلك أبنائه أو أقرانه، أو من له ولاية عليه والمسؤولية هنا ليس من أجل الفعل بل من أجل التقصير في واجبه فيما وكل إليه (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) أو لتقاعسه عن واجبه الذي فرضه عليه الشرع ,قال تعالى {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهمون عن المنكر .}

أنواع المسئولية:

- المسئولية الأخلاقية المحضة :وتعني الالتزام الذاتي من الإنسان نفسه على الإتيان بشيء أو الانتهاء عن فعل شيء

-المسئولية الاجتماعية :وتعني الالتزام تجاه الآخرين وما يفرضه المجتمع من قواعد.

-المسئولية الدينية :وتعني الالتزام أمام اللّه تعالى.

ثالثاً:الجزاء:

تعريفه :هو الأثر المترتب على الفعل الإنساني؛ ظاهراً أو باطناً، في الدنيا أو في الآخرة.

أنواعه :

للجزاء ثلاثة أنواع هي :الجزاء الأخلاقي والجزاء الشرعي ,والجزاء الإلهي.

-الجزاء الأخلاقي :ويعني ما يلاحظه الإنسان من نفسه جراء إقدامه على عمل طبقا لما يعرفه من الأحكام والتشريعات والقواعد ويحس بها، كالرضا في حالة النجاح، والألم في حالة الإخفاق يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم (من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن) حديث صحيح ففي هذا الحديث ترجمة وتحديد للإيمان الخلقي .

-الجزاء الشرعي :ونعني به العقوبات التي أقرتها الشريعة الإسلامية لأولئك الذين يتعدون حدود اللّه، فيظلمون بذلك أنفسهم، ويظلمون غيرهم والغاية من هذا الجزاء الشرعي معاقبة المجرم وردعه وكذا ردع الآخرين ممن يمكن أن تسول له نفسه ارتكاب مثل تلك الجرائم .وهذه العقوبات على نوعين حدود وهي جزاءات حددها الشرع كحد الزنا، والسرقة، والقذف . وتعزيرات أي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لم يحدد الشرع فيها عقوبة.

الجزاء الإلهي :إذا كان النوعان السابقان من الجزاء يقعان في الدنيا، فإن الجزاء الإلهي له طبيعته وامتداداته من الدنيا وإلى الحياة الآخرة .

في حالة الطاعة والامتثال له في الدنيا الرضا من الله والتوفيق والحفظ وتيسير الأمور والنصر والعزة وهناك آيات كثيرة تؤكد هذا منها { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ } ومنها { إن تنصروا الله ينصركم.}

وفي حالة المعصية والاستمرار عليها وعدم التوبة منها له في الدنيا ضنك العيش والمصائب والسخط من الله قال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ} وقال تعالى {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا.}

وفي الحياة الأخرى للمؤمن الجنة والرضا قال تعالى { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً .} وقال تعالى { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً)

وللكافر والمنافق نار جهنم والسخط من الله قال تعالى [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ] {البيِّنة.

المحاضرة السادسة

نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم..

الرسول ذو الخلق العظيم

قال تعالى مادحاً نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم {وَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم] وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام:(كان خلقه القرآن) أي أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام تجسيد عملي لما جاء به القرآن الكريم من أوامر أو نواهي أو مُثُلٍ عليا.

فهو الذي اختاره الله سبحانه ليكون أسوة ومثلاً أعلى للبشرية فقال تعالى {لقد كان لكم في رسول الله أسوةَ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} {الأحزاب}.

وهو الذي وصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وهو الذي قال الله فيه { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم } {الأحزاب} زكى الله لسانه فقال تعالى [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى] {النَّجم} وزكى صدره فقال [أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] {الانشراح} وزكى هديه ومنهجه فقال [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] {الشُّورى} وقال:[قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] {آل عمران} ومن ثَمَّ قال النبي صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن نعمة ربه عليه (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وقال (أما إني لأخشاكم وأتقاكم لله) ويقول أنس رضي الله عنه "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً" وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت "ما رأيت أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم"، والمحاضرة وكذا عشرات المحاضرات من أمثالها لن تتمكن من إعطاء الموضوع حقه ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ومن ثم فإننا سنكتفي بعرض نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

1- عبادة النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي عليه الصلاة والسلام كما وصف نفسه أتقى الناس وأخشاهم لله وأكثرهم عبادة وتألهاً، فمن كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان شاكراً تقول عائشة رضي الله عنها كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام (أفلا أكون عبداً شكوراً) وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ الْعَتَمَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ بِعِبَادَتِكَ فَذَهَبَ وَذَهَبْتُ مَعَهُ. ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَيُرَدِّدُ فِيهِ شَفَتَيْهِ حَتَّى أَظُنَّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ فَمَكَثَ فِي رُكُوعِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَيُرَدِّدُ شَفَتَيْهِ فَأَظُنُّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ فَمَكَثَ فِي سُجُودِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ نَهَضَ حِينَ فَرَغَ مِنْ سَجْدَتَيْهِ فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ آلَ عِمْرَانَ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ

اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَّلَ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ كَفِعْلِهِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَمِعْتُ النِّدَاءَ بِالْفَجْرِ قَالَ حُذَيْفَةُ فَمَا تَعَبَّدْتُ عِبَادَةً كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْهَا) وكان يدعو ويسبح ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع يقول عبد الله بن الشخير رضي الله عنه (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء) وكان يقول (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وكان يكثر من الصيام تقول عائشة رضي الله عنها (كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ولم أره صائماً في شهرٍ قط أكثر منه في شعبان كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان إلا قليلاً) وكان ينظر إلى نفسه وعبادته فيرى نفسه مقصراً في جنب الله فيقول إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله مائة مرة)

2- دعوته صلى الله عليه وسلم:

كانت دعوته عليه الصلاة والسلام لجميع الخلق، وكان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً في سبيلها، ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق وكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، من ذلك ما رواه أبو أُمامة . رضي الله عنه . قال إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا مه مه فقال له (ادنه)، فدنا منه قريباً، قال (أتحبّه لأمّك؟) قال لا والله، جعلني الله فداءك، قال (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال (أفتحبه لابنتك؟) قال لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك قال (ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم) قال (أفتحبه لأختك؟) قال لا والله جعلني الله فداءك قال (ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم): قال (أفتحبه لعمتك؟ قال لا والله، جعلني الله فداءك: قال (ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم): قال (أفتحبه لخالتك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك: قال (ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم) قال فوضع يده عليه، وقال اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم } إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم } مه مه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم } لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم } دعاه فقال له إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنه عليه)وقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت الكافرين ، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواجٌ من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، وكان يتمثل في ذلك صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل { ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل]

3- رحمته صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى في شأن نبيه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الانبياء) فهو صلى الله عليه وسلم إذاً رحمة للعالمين وليس للمؤمنين فقط ورسالته رحمة للجميع ومن ثمَّ كان يقول (إنما أنا رحمة مهداة) وعندما طلب منه أن يدع على المشركين قال (إني لم أبعث لعانًا) ودعا لهم بالهداية وقال عليه الصلاة والسلام (اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاة و أجراً وكان من دعائه صلى الله عليه

وسلم (اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً ، فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به) قال تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} (آل عمران[illegible]) وقال صلى الله عليه وسلم في فضل الرحمة (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ومن مظاهر رحمته بالمؤمنين أنه أمر من أمهم في الصلاة بأن يخفف فقد جاء رجلٌ إلى النبي {صلى الله عليه وسلم } فقال إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فقال أبو مسعود الأنصاري فما رأيت النبي {صلى الله عليه وسلم } غضب في موعظةٍ قط أشد مما غضب يومئذٍ فقال يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة) وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ، بَعْدَ ذلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرضى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)

4- صدقه صلى الله عليه وسلم:

فمن صور صدقه واعتراف أعدائه به حتى قبل إعلانه لدعوته ما جرى معه صلى الله عليه وسلم حين دعا الناس إلى رسالته فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبي {صلى الله عليه وسلم } على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم كنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت (تبت يداً أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب)

ومن صوره ما أخبر به عبد الله بن سلام الحبر اليهودي وبسببه أسلم قال لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"؛ هكذا لم يحتج الأمر منه أن يعلم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى أن ينظر إلى وجهه ليعرف أنه ليس بوجه كذاب

5- شجاعته صلى الله عليه وسلم:

فقد كان الأشجع والأجود بنفسه، ومن قصص شجاعته ما رواه مسلم عن أنس بنِ مالك رضى الله عنه قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ) أي أن الفرس كان سريعاً فسبقتكم إلى الصوت وليس هناك ما يخيف فارجعوا وروي عن عليٍّ رضى الله عنه قال كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ وقال علي رضى الله عنه أيضًا لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً

وعن العباس رضي الله عنه قال شهدت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم حنين فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يُرْكض بغلته قِبَل الكفار قال العباس وأنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أكفها إرادة ألا تسرع فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أي عباس ناد أصحاب السمرة قال عباس وكان رجلاً صيتاً فقلت أين المهاجرون الأولون أين أصحاب سورة البقرة والنبي صلى الله عليه و سلم يقول قدما أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب قال فو الله لكأن عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار حتى انهزم الكفار قال وكأني أنظر إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} يركض خلفهم على بغلته

6- عفو النبي صلى الله عليه وسلم:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هَلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أشَدُّ مَا لَقيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إِلاَّ وأنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبريلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ إنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ) فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم (بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)

وعن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدة قال أنس فنظرت إلى صفحة عاتق النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء) وعن عائشة قالت مَا ضَرَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إِلاَّ أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى

المحاضرة السابعة

نماذج من أخلاق النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم

7- تواضعه صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي برجل ترتعد فرائصه قال فقال له هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء) ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي راوي الحديث {وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد } وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ولقد كان يوم خيبر ويوم قريظة على حمار خطامه حبل من ليف وتحته أكاف من ليف *وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن مدحه وإلقاء الألقاب عليه، ويقول (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله) ويقول (لو أُهدي إليَّ كراعٌ لقبلتُ ولو دُعيت عليه لأجبت) ويحذر من الكِبْر فيقول (لا يدخل في الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كِبر) ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب والإهالة السنخة تعني الدهن الجامد المتغير الريح من طول المكث.وعن أنس أن خياطاً دعا النبي {صلى الله عليه وسلم} لطعام صنعه قال أنس فذهبت مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم } خبزاً من شعير ومرقاً فيه دباء وقديدٌ قال أنس فرأيت رسول الله يتتبع الدباء من حوالي الصحفة.

☐-زهده صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكاً نبياً أو يكون عبداً نبياً فاختار أن يكون عبداً نبياً كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة قال أنس بن مالك رضي الله عنه (دخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر؟ قال :ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ قال بلى قال هو كذلك.

وكان من زهده صلى الله عليه وسلم وقلة ما بيده أن النار لم تكن توقد في بيته في الشهر والشهرين فعن عائشة . رضي الله عنها . أنها كانت تقول لعروة بن الزبير والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة

أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قلت يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت الأسودان . التمر والماء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءاً، وكان أكثر خبزهم الشعير) وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخر شيئا لغد.

9- صبر النبي صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على الأذى في حق نفسه وأما إذا انتهكت حدود الله فلم يكن يقوم لغضبه شيء وهذه الشدة مع المنتهكين لحدود الله خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان قال تعالى) :مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ (الفتح) .

ومن صور صبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، والأخشبان جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان .

ومن ذلك ما رواه طارق المحاربي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز فمر وعليه جبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل يتبعه بالحجارة وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب؛ قلت من هذا؟ قالوا غلام من بني عبد المطلب، قلت فمن هذا يتبعه يرميه؟ قالوا هذا عمه عبد العزى أبو لهب.

عن الحارث بن الحارث الغامدي قال حججت مع أبي فلما كنا بمنى إذا جماعة على رجل فقلت يا أبة !ما هذه الجماعة؟ فقال هذا الصابيء الذي ترك دين قومه، ثم ذهب أبي حتى وقف عليهم على ناقته، فذهبت أنا حتى وقفت عليهم على ناقتي، فإذا به يحدثهم وهم يردون عليه، فلم يزل موقف أبي حتى تفرقوا عن ملال وارتفاع من النهار، وأقبلت جارية في يدها قدح فيه ماء ونحرها مكشوف، فقالوا هذه بنته زينب، فناولته وهي تبكي، فقال "خمري عليك نحرك يا بنية ولا تخافي على أبيك غلبة ولا ذلاً.

10- مزاح النبي صلى الله عليه وسلم:

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمزح ولكنه لا يقول إلا حقاً مازح امرأة عجوزاً يوماً، فقال لها حين سألته فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم) : يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول } :إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً] {الواقعة } {

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسولَ الله احمِلْنا على بعير فقال أحْمِلُكُمْ على وَلَدِ الناقةِ قال وما نَصْنَع بولدِ الناقةِ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هل تَلِدُ الإبلَ إلا النُّوقُ ؟) وقال وسمعته يقول لامرأة «زوْجكِ ، ذلك البياضُ في عينيه ؟ قالت :عَقْرَى، ومتى رأيتَه ؟ قال وهل من عين إلا وفيها بياض.

وعن أنس بن مالك أن رجلا من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام كان يهدي إلى النبي صلى الله عليه و سلم الهدية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن

زاهرا بادينا ونحن حاضروه) قال فأتاه النبي صلى الله عليه و سلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره فقال أرسلني من هذا ؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي صلى الله عليه و سلم جعل يلزق ظهره بصدره فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من يشتري هذا العبد) ؟ فقال زاهر تجدني يا رسول الله كاسدا قال :(لكنك عند الله لست بكاسد) أو قال صلى الله عليه:و سلم(بل أنت عند الله غال)

11-حياؤه صلى الله عليه وسلم :

عن أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ، دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ؛ فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا؛ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ قوله تعالى[:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقّ)) {الأحزاب}

وكان يقول إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاء.وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ غير أن حيائه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعه من قول الحق والغضب له إلا إنه لم يكن يواجه أحدًا بما يكره، لهذا وصفه الصحابة بأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا كره شيئًا عُرف في وجهه إشارة إلى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهيته لذلك.

2- عدل النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ : وَيْحَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ » فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يَجُوزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.(...

ومن صور عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته لشرع الله تعالى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بصَحْفَة فيها طعام، فضَرَبتِ التي هو في بيتها يَدَ الخادِمِ، فسَقَطَتِ الصَّحفةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم -فِلَقَ الصَّحفةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غَارَتْ أُمُّكم، [غارتْ أُمُّكم]، ثم حبس الخادم، حتى أُتيَ بصَحفَة من عند التي هو في بيتها ، فدفعها إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي كَسَرَتْها«

.و قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها).

13- أخلاقه صلى الله عليه وسلم مع أهله :

كان صلى الله خير الناس لأهله وقد تمثل ذلك في طيب كلامه وحسن عشرته لزوجاته وبإكرامه واحترامه لمشاعرهن، قال عليه الصلاة والسلام (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) وكان من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يتودد إليهن ويرأف بهن ويمازحهن تروي السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ وَهِيَ جَارِيَةٌ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ : تَقَدَّمُوا » فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ : تَعَالَ أُسَابِقْكِ » فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ خَرَجْتُ أَيْضًا مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ «تَعَالَ أُسَابِقْكِ » وَنَسِيتُ الَّذِي كَانَ وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ فَقُلْتُ وَكَيْفَ أُسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ : لَتَفْعَلِنَّ » فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ (هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ) وتروي أيضاً فتقول والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو) وتقول في عمل النبي في بيته (كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة) وتقول أنه صلى الله عليه وسلم (كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم) ومن دلائل احترامه الكبير وحبه الشديد لزوجته خديجة رضي الله عنها، إن كان يذبح الشاة ثم يهديها إلى صديقاتها، وذلك بعد مماتها.

14- أخلاقه صلى الله عليه وسلم مع الأطفال :

فعن أنس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم .وكان صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه وكان صلى الله عليه وسلم يحمل ابنة ابنته (أمامة بنت زينب) وهو يصلي بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها .وجاءه الحسن والحسين رضي الله عنهما وهو يخطب في الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى وضعهما بين يديه . وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ .فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم« : أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)

15- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخدم :

كان النبي صلى الله عليه وسلم لطيفا رحيماً في تعامله مع خدمه إلى أبعد الحدود فعن أنس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله) .

16-حديث صلى الله عليه وسلم في الرفق بالحيوان :

فهو أول من أصَّل وأسس للرفق بالحيوان فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته .(

وعن سعيد بن جبير قال مر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طائراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئةٍ من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا لعن الله من فعل هذا إن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم دخلت امرأة النار في هر ربطته فلا هي أطعمته ولا هي أرسلته يأكل من خشاش الأرض حتى مات ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر ...وبينا رجل راكب بقرة التفتت إليه فقالت إنى لست لهذا خُلقت إنما خلقت للحرث , ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر .إن أعظم خدمة نقدمها للإسلام اليوم هي أن نحيي هذه الأخلاق النبوية فنتحلى بها وندعوا إليها ونسعى لنشرها بين غير المسلمين في وقت كادت الأخلاق الحميدة والمثل العليا أن تختفي من حياة الناس ,وأصبحت المادة والمصلحة هي الغاية القصوى من الوجود إن البشرية اليوم ظامئة وهي بأمس الحاجة إلى إحياء هذه القيم السامية في واقع حياتها وبذلك نستطيع أن نعرفهم بمحمد عليه الصلاة والسلام من هو؟ ولماذا نتخذه أسوة ومثلاً في حياتنا.